Journal of Language Studies Vol.9, No.1, 2025, Pages (157-172)
DOI: https://doi.org/10.25130/Lang.9.1.8

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

The Subjective Inclination in the Poetry of Ibn Darrāj al-Qastallī

Ibtihal Abdul Karim Faisal*
Tikrit University/ College of Education for Women
ebtihal.faisal@tu.edu.iq

Received: 10/ 2/ 2025, **Accepted:**9 /3 /2025, **Online Published: 25 / 3 /2025**

Abstract

The term self is intrinsically human, linked to art as an eternal connection, as a speech directed at the human soul which stimulates it and activates its emotions to respond to and react with its aesthetic lesions to produce pleasure and pleasure. It is an interactive term in the production of creative text because it is an important means of detecting human experience at its internal and external levels, Where the sheds on the Anna to know and reveal all around it, whether compatible or different, the image of the self in the psychological perspective is not different from the image of the other there is a convergence between the two concepts where the self is the point of concentration in the world, where things start to appear until maturity , the poetic condition is only a biography of the self, in which the self emerges in one form or another intensity or weakness according to the requirements of the psyche of the poet, and the poet is only storyteller for the adventures of the soul and the needs of Hence the study reveals the relationship between the poet and the other represented in particular and the image of the hacker, and the place and its impact in the same poet and self and Almmdouh

Keywords: The Self, The Envious, The Praised, The Place

* **Corresponding Author**: Ibtihal Abdul Karim**, Email:** ebtihal.faisal@tu.edu.iq
Affiliation: Tikrit University - Iraq
© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

النزعة الذاتية في شعر ابن دراج القسطلي

م.د. ابتهال عبد الكريم فيصل
كلية التربية للبنات / جامعة تكريت

الـمستخلـص

يعد مصطلح الذات جوهرا انسانيا مرتبطاً بالفن ارتباطا أزليا ، بوصفه خطابا موجها إلى النفس الإنسانية يستثيرها ويحرك انفعالاتها لتتجاوب وتنفعل مع آفاته الجمالية ليحدث الامتاع واللذة ، وهو من المصطلحات التفاعلية في إنتاج النص الإبداعي ، كونها وسيلة مهمة في الكشف عن التجربة الإنسانية في مستوييها الداخلي والخارجي ، حيث يسلط على الأنا لمعرفتها والكشف عن كل ما حولها سواء كان المتوافق أو المختلف ، فصورة الذات في المنظور النفسي لا تختلف عن صورة الآخر فثمة تلازم بين كلا المفهومين حيث تعد الذات نقطة التمركز في العالم ،إذ منها تبدأ الأشياء بالظهور حتى تنضج وصولا إلى مرحلة الإبداع ، وإليها تنتهي المسيرة الإبداعية ، فلا شيء يسبقها إذ هي الاصل والمنبع والمصب(عبيد، محمد صابر،134،2007) ، فالحالة الشعرية ماهي إلا سيرة ذاتية تبرز فيها الذات بشكل أو بآخر حدةً او ضعفا حسب متطلبات نفسية الشاعر ، والشاعر ما هو إلا راوٍ لمغامرات النفس واحتياجات الذات وسط نتاجه الشعري(وفيلو،كارلو،70،1984) ومن هنا جاءت الدراسة بالكشف عن العلاقة بين الشاعر والآخر متمثلة بالذات وصورة الحاسد ، والمكان وأثره في ذات الشاعر والذات والممدوح .

الكلمات المفتاحية: الذات، الممدوح، الحاسد، المكان

التمهيد

مفهوم الذات :

الحديث عن الآخر يعني اكتشاف الذات وعلاقة هذه الذات مع الآخر قائمة على أساس أنَّ الذات هي المكون الأساسي في حركة الفكر والثقافة بشكل عام وهي الأصل ، والآخر مجرد ظل لهذه الذات وهو فرع عنها وتظل العلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية افتراضية ، وكما يقول الناقد السوفيتي بيلي نسكي : (إن الفنان يأتي على العمل الفني ماراً بقلبه، ليفرغ شحنته التي تنصهر في

أحاسيسه ، إذ يتم تشكيل العمل الفني أخيراً) (عبد، كمال، دار الحرية،50) إذ يعد مفهوم الذات من المفاهيم الدقيقة المتشعبة حيث تباينت فيها المفاهيم وتفاوتت فيها الآراء ، لذا وجب عرض ما يحدد مفهومها في اللغة والاصطلاح.

الذات في اللغة :

ورد في اللسان أن أصل كلمة (ذات) تأت من تأنيث (ذو) ، فتقول هي ذات مال، ويجوز في الشعر ذاتا مال ، وفي التنزيل العزيز (ذواتا أفنان) ، وتقول في الجمع الذوون(ابن منظور،1414، مادة: ذوو) .

وفي المعجم الوسيط أن معنى (الذات) (النفس والشخص ، إذ يقال في الأدب: نقد ذاتي :يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته ، ويقال : جاء فلان عينه أو نفسه ويقال : عرفه من ذات نفسه ، سريرته المضمرة، وجاء من ذات نفسه ، ذات الصدر : سريرة الإنسان ، وفي الذكر الحكيم (الله عليم بذات الصدور)(مصطفى، إبراهيم، مادة، ذات،307) والذات (تطلق على الجسم وغيره ، وماله طبيعة خاصة مكونة له ، وفرقوا بين الذات والشخص ، فقالوا: الذات ما يخص الشيء ويميزه عما عداه ،وذات الشيء نفسه وعينه و لا يخلو عن العرض ، والذات أعم من الشخص وتطلق على الجسم وغيره بينما الشخص لا يطلق إلا على الجسم)(التنوخي،محمد،307،1999)

وقد وردت الذات في معاجم اللغة بعدة معان منها في المصباح المنير (الذات يراد بها الحقيقة ،ويراد بها الرضى، وقيل الذات : الشيء نفسه وعينه ، ويقال ذات الشاعر بمعنى حقيقته وقد يراد بها (النفس)(مصطفى،إبراهيم،307) وممّا جاء في لسان العرب ،الذات : تعني الجوهر و كذلك الذات أو الانا لغة(الشخص المتكلم المفرد المقصود لذاته ، ويقابل الغير أو الآخرين من الناس)(ابن منظور، مادة أخر،31) وهذا التعريف بالذات كائنا من باب التمييز بين الأفراد ، لا من حيث تمييز الفرد عن مجتمعه إنما تختلف الذات عن الاخر من خلال الجوانب النفسية والفكرية والاجتماعية ،والتوافق النفسي مع البيئة ومستوى العلاقات الإنسانية.

الذات في الاصطلاح :

تمثل الذات الانبعاث النفسي للوجود الذاتي الذي يحدد وجود الشخص فهي الوجه العميق الذي يتطلب اكتشاف بعض ملامحها وسماتها الباطنية مجهودا معرفيا وجماليا وتجربة حياتية متجذرة في الواقع ومتواشجة مع هموم البسطاء وعذاباتهم)(عصفور، جابر،44،1974) .

إنّ القارئ لسير الشعر الذاتية في الأدب الأندلسي عامة وابن دراج خاصة يجد رحلة مع النفس الإنسانية المبدعة الخلاقة، التي تصنع من آلام الناس وآمالهم ، فنا باقيا خالدا وقراءتها تفتح الطريق للوقوف على تفاصيل دقيقة عن الإبداع وكيفية ظهور) ؛ ولعل قراءة النص على وفق ذلك يثبت دون شك بأن النص الشعري هو لوحة فنية ناتجة من تداعيات ذائبة في الماضي في لحظة آنية قاسية لأن التداعي هو(جواد،هناء،143،2016) وهي كذلك (تدفق وتمازج حالات تأملية لظواهر تقع خارج الذات تتجاوب مع ذكريات كامنة في أعماق الذات ثم حصول حالة توافقية تنشأ من امتزاجها معا في لحظة مركزة تعزز الخلق والإبداع) (القصاب، صبحي ناجي،115،1979) ومن هذا المنطلق نشير إلى أن دراسة الذات، إنما هو عبارة عن انفعالات الشاعر، هذه الانفعالات التي تثير وجده فتجعله يغوص في عالم الذكريات علَّه يخفف من وجده وقلقه وشوقه، فيتذكر ديار الأحبة فيقف عليها باكياً.

ابن دراج القسطلي :

السيرة الذاتية :

هو أحمد بن محمد بن دراج القسطلي ويلقب بأبي عمر بالقسطلي نسبة إلى بلدة قسطلة مسقط رأسه وينسب الى بني دراج ولد بقسطلة في محرم سنة(347) من أسرة ذات مكانة مرموقة، فقد نسبت مدينة قسطلة إلى جده، فقد كان يقال قسطلة (ابن دراج) (هيكل، أحمد، دار المعرفة،3) وكان كاتب المنصور بن أبي عامر وزير الأمويين كما كان شاعره , ويبدو أنه مرَّ بمحنة في أول عهدة به , إذ تألب عليه الحساد وادعوا عليه عند المنصور أنه منتحل وسارق لا يستحق أن يكون له عطاء منظم , فامتحنه المنصور وعقد لهُ مجلساً سنة (382)هجري, وطلب إليه أن ينظم موضوعاً معيناً , فنظم ما أعجبه , فأعطاه مائة دينار وأجرى علية الرزق , وكتب اسمه في ديوان العطاء ، وكان قد تجاوز الخمسين عندما نشبت الفتنة , تلك الحادثة هي الفتنة التي تزعمها البرابرة التي أثرت على نفسيته وشعرة , وتحولت به إذ لم تستطيع أن تحدثه تلك السنوات الطوال التي عاشها قبلها ، لم تلبث قرطبة أن تعرضت لفتنة عاتية تزعمها البرابرة بالتواطؤ مع سليمان المستعين ، فعصفت بكيانها واقتلعت قصورها وشردت أدباءها وعلماءها , وفيهم ابن دراج مع عدد من الشعراء الذين نسجت على افواههم العناكب أيام الحرب والفتنة , واشتدت فاقتهم

كان ابن دراج شاعراً فحلاً مكثراً مُطيلاً وكاتباً مترسلاً بارعاً ، وأسلوبه مطبوع على غرار شعراء المشرق من حيث الغوص في المعاني وتأنق في الصياغة ، وسُمي (متنبي الغرب)، وكان لشعره

عذوبة وسلاسة مع شيء من الغموض ، إذ قال عنه الثعالبي كان ابن دراج بالأندلس كالمتنبي بالشام)(الطريفي، يوسف عطا،116،2007)

الذات و صورة الحاسد

يتسم شعر ابن دراج وهي في حالة المواجهة مع الآخر (الحساد) ب(حالة من التجسيد العياني للمثل الاعلى)(اليوسف، يوسف، دار الحقائق،326) وهذا ما نلتمسه حين وطئت قدماه بلاط المنصور بن أبي عامر الذي مدحه بقصيدة أثارت الحساد والحاقدين حوله، فقاموا بوشاية للمنصور، فاتهموه بالسرقة والانتحال، وأنه لا يستطيع المعارضة، ولا يجيد نظم الشعر، فاستطاع شاعرنا أن يتخلص من تلك التهمة ، إذْ طلب منه المنصور أن يعارض قصيدة لأبي نواسٍ فقال ابن دراج شعرا مرتجلاً فيما اقترح عليه القول فيه ، وبذلك زالت عنه التهمة التي ألصقت به وأكد شاعريته، فعارضها وأحسن وقد أشار ابن دراج في قصيدته إلى الاختبار الذي عقد له ، وافتخر بظفره فيه وأنه لم يقصر في مجال الارتجال(مكي، محمود علي، ط2،46)

من بعدِ ما أضرم الواشونَ جاحِمةً كانت ضلوعي وأحشائي لها حطَبا

ودسسوا لي في مثنى حبائِلِهِم شنعاء بت بها حران مكتئبا

حتى هززت فلا زند القريض كبا فيما لدي و لا سيف البدية نبا

وذلك لمحاولة هزم الآخر الذي أدى بالذات إلى الانكسار والألم وهذا ما نجده في أبيات ابن دراج (مكي، محمود علي،ط2،46)

وأشرقت شاهدات الحق تشرق لي نورا غدت فيه أقوال الوشاة هبا

هيهات أعجز أهل الأرض أن يجدوا للدر عبر عباب البحر منتسبا

وحاش للورد أن يعزى إلى رمض وأن يكون له غير الربيع أبا

ويحاول ابن دراج أن يقلل من حدة قلقه واكتئابه الذي يسيطر عليه ويسلي نفسه ويهدئ من روعها قائلاً لها : إنه ليس أول شاعر يجتمع عليه الحساد والوشاة فيتآمرون عليه، فقد سبقه لذلك شعراء كثيرون، منهم امرؤ القيس، والأعشى إذ يقول(مكي، محمود علي، ط2،46)

ولست أول من أعيت بدائعه فاستدعت القول ممّن ظن أو حسبا

إن (أمرؤ القيس) في بعض لمتهم وفي يديه لواء الشعر أن ركبا

والشعر قد أسر (الأعشى) وقيده خيرا وقد قيل: والأعشى إذا شربا

وكيف أظمأ وبحري زاخر فطنا إلى خيال من الضحضاح قد نصبا

فإن نأى الشك عني فها أنا ذا مهيأ لجلي الخبر مرتقبا

وقديما أشير الى مسألة استكراه مدح الذات إلا في الشعر ابن رشيق القيرواني بقوله :(وليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها في غير منافرة إلا أن يكون شاعراً، فإن ذلك جائز له في الشعر ،غير معيب عليه)(الجبوري، يحيى، دار النهضة،185) ، وابن دراج حينما يفخر بنفسه يحاول إثبات ذاته المستلبة من ظروف اجتماعية أحاطت به من فقر وغربه وارتحال ، فتتعظم لديه بعض الصفات كتعويض للنقص الذي يشعر به نتيجة لفقدانه بعض الصفات الإيجابية فالفقر والغربة وفقدان الأحبة يحاول تلافيها من خلال تضخيم ذاته في مواجهة الآخر.

فالذات الإيجابية هي ذات الشاعر المشرفة التي يفخر بها ويحاول إعطائها أكبر مساحة من القدر الجليل والقيمة العليا ، إذ يعد مدح الذات والشعور بها من المظاهر الفطرية للبشر عامة فهو (شعور وجودي بشري ، وأساس روابط الأنا بالعالم الخارجي ، هذا العالم الذي تحكمه دينامية ملازمة لمبدأ التناقض)(عزيز، محمد، دار المعارف:36) .

المكان واثره في ذات الشاعر

إنَّ للمكان خصوصيته في حياة الإنسان عموماً، نظرا إلى الدور البارز الذي تؤديه هذه الثنائية في حياة الشاعر الذي يمتلك الرؤية وعمق الأحاسيس ما يخوله أن يتبوأ مكان الصدارة في التعبير عن مشاعره إزاء الأزمنة والأماكن المتغيرة ، فالشاعر غالبا ما يعيش في رحلة العذاب والاغتراب منذ

وعيه وتميزه كمبدع(شرتح ، عصام، 2015،56) ، إذ شكلت مشاعره دعامة الصدق الفني لتصوير المعنى وإثارة الفكر والخيال وتوصيل أعمق الحقائق إلى العقل والقلب ، نابضة من خلال كناياته وتصويره للبيئة التي يعيشها بشكل كامل ، حيث إن غربة المكان وأثرها على ذات الشاعر عبارة عن انفعالات تثير وجده فتجعله يغوص في عالم الذكريات علّه يخفف من وجده وانفعالاته فيتذكر ديار الاحبة ويقف عليها باكيا ، وهذا ما نجده في المقدمات الطللية التي تفيض بالانفعالات العاطفية والنفسية وكما يراها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب(أدب الغرباء) (فقد الأحبة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة)(الأصبهاني ، أبو الفرج ، دار المعارف) ويقول التوحيدي في كتابه(الإشارات) (فأين أنت عن غريب قد طالت غربته في وطنه ، وقلَّ حظه ونصيبه وسكنه ؟ وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان ، ولا طاقة به على الاستيطان) (التوحيدي ، دار صادر ،بيروت،11) فلم يجد ابن دراج بعد أن ضاق به الحال إلا أن يضرب في مناكب الأرض، وفي ذلك يقول: (ديوانه:45)

فإن غربت أرض المغارب موئلي وأنكرني فيها خليط وخلان

فكم رحبت أرض العراق بمقدمي وأجزلت البشرى علي خراسان

وإظهار ذاته بمظهر القوة والبأس وأخذ ما يريد بمثل حالة دفع نفسي إلى الإمام ، وتضخيم للذات كرد فعل تجاه الرفض والإبعاد من خلال الفخر ب(الذات)الذي استعاره الشاعر عن ذاته رمزا داخل النص الشعري (لأن الذات الشعرية تبتكر رمزا ذاتيا لها يمكن أن يتكثف في فلسفتها وحريتها)(الديدي، عبد الفتاح، الهيئة المصرية للكتاب،165)

يقول شوبنهور عن الشعر بأنه : (حصيلة معاناة وتأزم نفسي حاد ، ينتج عنه فن جميل وراقٍ وفيه لذة ،لكن تتخلله مشاعر حزن أو أي مشاعر أخرى معبرة عن تلك المعاناة النفسية)(خليفة ، عبد اللطيف،2003، 25) فالشاعر يستلهم معنى الحياة من الحياة ذاتها .

فعبد اللطيف خليفة يقول : (وينظر الباحثون إلى اغتراب الذات باعتباره اضطرابا نفسيا يتمثل في اضطراب الشخصية العصامية ، حيث يتسم الشخص العصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية ، والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين أو الرقة مع الآخرين . . . فهناك تشابه بين اغتراب الذات، واضطراب الشخصية العصامية في أنهما يشيران إلى صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع) (خليفة ، عبد اللطيف،2003، 25) ، حيث نلاحظ بروز الأنا عند

الشاعر غالبا في المواقف التي تستدعي أنماطاً مختلفة من اختلاجات الذات المعذبة ، من أجل أن تحتضن قوتها وصلابتها على مواجهة المصير الغامض خصوصا عندما اتهموه في مجلس المنصور بن أبي عامر ، فكلما انطوت الأنا الشعرية على صورة إشكالية معينة ، كان هذا مدعاة لبحث الغموض في مصيرها المحتوم ، وانعكاس ذلك إنما يكون منصبا على لغة الشعر ووعي الشاعر وادراكه لحقيقة المواقف في سبيل إظهار حقيقة الشعور العارم) (عبيد ، محمد صابر،72،2010) ، وهكذا يتبين لنا قوة هذه الأبيات التي قالها شاعرنا في غربته واغترابه التي تفيض بكل العواطف الإنسانية، وتعكس تجربة صادقة عاشها الشاعر، وتجرع كل ما فيها من معاناة، فكان هذه الغربة بمثابة المادة الخام التي استطاع الشاعر أن يشكلها ويستخرج منها أشكالاً ونماذج جديدة تصور آهاته وأناته.

إذ يقول د. أحمد هيكل (وابن دراج كثير الحديث عن قلقه وضياعه وسوء حاله، وغني عن البيان شرح أسباب ذلك عند هذا الشاعر فظروف الرجل الخاصة وظروف الأندلس العامة كانت من دوافع ذلك وخاصة إذا كانت تلك الظروف تحيط بشاعر شديد الحساسية كابن دراج الذي لم ينس أنه قد أذل من بعد عِز، واحتاج بعد غنى، واضطر وهو الشاعر الكبير وسليل السادة من حكام قسطلة إلى أن يقصد الناس ليبيع شعره بقوته وقوت أولاده) (هيكل ، أحمد، دار المعرفة،31)

ولهذا كان ابن دراج يتنقل بين بلدان كثيرة ، ولكنه لم يستطع نسيان موطنه وأهله ، فيتضاعف حنينه ويشتد الشوق عليه، فقد كان الحنين شغله الشاغل بالرغم أن القصائد موضوعها الرئيس المدح، فهاجسه الذي لا يفتر أو ينقطع هو الحنين، فقد كان يشعر بأن كبده ستتمزق شوقًا ولهفة على تلك الأيام الغابرة التي قد لا تعود، فيتذكر الحوار الذي دار بينه وبين زوجته مبررا لها سبب سفره وفراقه لها ولولده، فيصف موقف الوداع بينه وبين الزوجة قائلا :(مكي، محمود علي،ط2،46)

ولما تدانت للوداع وقد هفا بصبري منها أنّةٌ وزفير

تناشدني عهد المودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغير

هنا يصور طفله في المهد , كما أبدع التصوير , أثناء وداعه لزوجته وهذه الصورة واقعية قالها القسطلي , بأسلوب مباشر من غير تكلف , في قولة راسماً لوحته التي جسدت في رسم صورة مباشرة بعيدة عن الالتواء , والتعقيد , وأساليب البيان (مكي، محمود علي، ط2 ،45)

تناشدني عهد المودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغير

فكلمة مبغوم النداء كلمة مختارة بارعة المدلول جسدت قوة المعنى في البيت , وندرك من ذلك ان قدرة القسطلي على التعبير عما يدور في خاطره , وخلجان نفسة , في بيت شعري واحد واضحة جداً مؤكداً قدرته على الإبداع والاختراع , واستحسان أبياته واستطاع أن يصور القدرة والبراعة والرقة (مكي، محمود علي، ط)45،2

قالت وقد مزج الوداع مدامعا بمدامع وترائبا بترائب

فقد مزجت الدموع بالدموع ، والدموع هي إحدى الطرق التي يعبر بها المهموم والحزين عن همه وحزنه . فالشاعر ببكائه وانهمار دموعه قد ضعفت عزيمته ، ففراقه لزوجته أمر مفجع يبعث على الهم والحزن والقلق ، ولذلك فهو بحاجة ماسة للاطمئنان، ولذلك مزج الوداع أيضا بالصدور إذًا الشاعر يمر بظروف نفسية سيئة ، وليبرز لنا كثرة تلك الدموع عمد إلى استخدام جمع التكسير (مدامع) فالقصيدة تحمل هنا موضوعين ، أو تزامنين وهما المديح ، والحديث عن ألم الاغتراب الذي تمثل في حدة القلق والوجع لفراق زوجته والتزامن كما يقول الرباعي يعني تكوين علاقة بين موضوعين فأكثر داخل القصيدة ، ومن مجموع التزامنات يتشكل معنى القصيدة ، ويستطيع الناقد أن ينظر إلى مجموع التزامنات أو العلاقات من خلال تشكيلين أساسيين للمعنى في الشعر هما : التشكيل المكاني والتشكيل الزماني)(الرباعي، عبد القادر،169)

إذ نلحظ في ابياته شدة الحسرة والندم، تلك الحسرة، وذلك الندم الذي ينبعث من أعماق قلب يكابد ألم الغربة والفراق ، فكأنه يريد أن يلفت الانتباه إلى ما يملأ قلبه من ألم وعذاب، وأي ألم ذلك ؟ إنه ألم البعد عن الأهل والوطن، وألم عذاب في لحظة الاحتضار ومن هذا المنطلق تتجسد الذات وغربة المكان إنما هو عبارة عن انفعالات الشاعر ، وهذه الانفعالات التي تثير وجده فتجعله يغوص في عالم الذكريات علّه يخفف من وجده واشتياقه فيذكر الأحبة والأهل ، وهذا ما نجده في المقدمات الطلية التي تفيض بالانفعالات النفسية والعاطفية . فذكر ديار الأحبة شيء أوجبته الحياة القاسية، فسار الشعراء على هذا المنوال، إلا إن هذا الإحساس العميق يحمل بين طياته اغتراباً نفسياً يكابده الشاعر ؛ لأن من يعاني هذا الاغتراب النفسي يعجز عن إقامة علاقات الآخرين، مما يجعله يشعر بالعزلة والتفرد والقلق، يقول الدكتور محمود رجب إلا أن)الاغتراب في سياق علم النفس

متعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية وما يستشعر من غربة في العالم، وفتور وجفاء في علاقاته مع الاخرين)(رجب، محمود، دار المعارف،35) .

الذات والممدوح

وظف الشاعر الصورة في شعره مع قدرته على صوغ تلك الصورة ، فالشعر عند حازم القرطاجني (اثارة تخييلية لانفعالات المتلقي ،فهي عملية تعتمد على فاعلية المخيلة لدى الشاعر والمتلقي على السواء ،فالشاعر عن طريق ما تشكله مخيلته من صور يضبطها العقل يستطيع ان يؤثر في مخيلة المتلقي)(القرطاجني، ابي الحسن حازم، الدار العربية للكتاب،71،2008) والغرض من هذا كله ابراز معاناة الشاعر الاجتماعية من الغربة والفقر ،فكل هذه المعاناة تؤثر سلبا وايجابا في نفسية الشاعر فتجعل منه انساناً متمسكا بذاته محاولا اثباتها بشده امام الاخر (مكي، محمود علي،ط2 ،189)

اليك سبقت اقدار الحمام وعنك هتكت استار الظلام

وفيك حمت مثوى النوم جفني واحميت الهواجر في لثامي

ونحوك جبت ليل البيد حتى تركت دجاه مفضوض الختام

لقد بدأها القسطلي بمدح المنصور وهو غرضة الرئيسي مبتدأ بوصف رحلته الى ممدوحة , وما واجهه من متاعب واهوال ومخاطر سابقاً بذلك اقدار الحمام ، ندرك من خلال ذلك تجسيد ابن دراج للوحدة العضوية في ابيات قصيدته ونلاحظ التلاحم , و التماسك من خلال رابط معنوي ونفسي الا وهو الصدق في باعث قول القصيدة فكان الصدق معيار أساسي في وحدته العضوية إضافة الى معيار الجزم والحماسة ومن هذا المنطلق نستطيع قياس الوحدة العضوية في قصائد ابن دراج بجعل الصدق والحماسة و وحدة غرضه الرئيس المدح مقياس نقيس به وحدته وقد سعى الى ان ينتقي لنفسة ما ينفرد به من خلال ما اودعه من معاني شعرية مجسد الوحدة العضوية . (مكي، محمود علي،ط189،2)

عبد لنعماك في كفيه نجم هدى سارٍ بمدحك يجلو الشك والريبا

ان شئت أملي بديع الشعر او كتبا أو شئت خاطب بالمنثور او خطبا

إنَّ ممدوحه هو الوحيد بكرمه وعطائه يستطيع أن يمحو ويزيل قلق ابن دراج وهمه الذي تكتوي به نفسه في دار الغربة ولهذا القصيدة تحمل بعدين مكاني وزماني ، فالزماني يتمثل في فراق ابن دراج لزوجه وبكائها عليه في الماضي قبل وصوله للممدوح ، أما الحاضر ، فيحمل لنا مدى الإحساس بالقلق من ردة فعل ممدوحه، ولذلك قام الشاعر باستدعاء تلك الذكريات ووصف موقف الوداع ليرق قلب ممدوحه ويغمره بالعطاء ، ولكي يخفف من حدة ذلك القلق(مكي،محمود علي،ط2،189)

وأهل نحو فنائه وعطائه فيهل نحو وسائلي ورغائبي

وأشم برق يمينه وجبينه ويشم ريح أواصري ومطالبي

نلحظ في الأبيات بروز ذات الشاعر ، وبروز ذات ممدوحه ، فابن دراج يقول بأنه سيهل نحو فناء الممدوح وعطاياه ، وفي المقابل الممدوح سيهل عليه ويستجيب لرغائبه وآماله بالعطاء والبذل ثم نرى نبرة الافتخار تعلو، حيث هو بدوره يطرب ممدوحه بجواهره الشعرية التي تناقلتها الألسن وتحول الشاعر بين النفس والممدوح من صور الاغتراب هذه الصورة البطولية التي جسدها ابن دراج في ممدوحه تتماهى وتتراءى فيها شخصية ابن دراج ، وبطريقة أخرى ابن دراج يريد إظهار ذاته عن طريق إبراز صفات ممدوحه ، فليس هناك ثمة شك أن ابن دراج هو البطل المغترب الذي يجوب القفار مع مجموعة من الأسود الشجعان وهم أبناؤه الذين ينتقلون معه ، فيقابلون الأفاعي والعقارب (مكي، محمود علي، ط2،309)

ملك متى أرم الحوادث باسمه تقتل افاعيها سموم عقاربي

وله قصيدة اخرى في يمدح عبد الملك بن المنصور بن ابي عامر تتجلى فيها صورة الذات مع صورة الممدوح قائلا : (مكي، محمود علي، ط2،309)

جهز لنا الارض غزوة محتسب واندب اليها من يساعد وانتدب

واستوف بهجتها وطيب نسيمها فإذا دنا رمضان فأسجد واقترب

وصل جهاد للصيام بعزمة من ثائر يرضى الاله اذا غضب

فالنصر مضمون على بر الهدى وعواقب الراحات أثمار التعب

تقودنا إلى تداعيات الذات المُحبة، التي جعلت من النص الأدبي نصا متكامل الأسس ، لأنها تجمع بين الإبداع الذي يُلد في النفس الإعجاب ، ويعتمد على الأخيلة والصور الوجدانية ، والتأثر العاطفي بواسطة الأساليب الإنسانية.

وقد نجح شاعرنا في فنه الشعري الذي ترجم تداعيات ذاته بأجمل اللوحات ،لأن الصورة في مفهوم روز غريب: (تعبير عن حالة او حدث بأجزائهما أو مظاهرهما المحسوسة هي لوحة مؤلفة من كلمات أو مقطوعة وصفية في الظاهر ،لكنها في التعبير الشفوي توحي بأكثر من الظاهر ،وقيمتها ترتكز على طاقاتها الإيحائية، فهي ذات جمال ذاتي تستمد من اجتماع الخطوط والالوان والحكمة ونحو ذلك من عناصر حسية ، وهي ذات قوة إيحائية تفوق قوة الايقاع لأنها توحي بالفكرة ،كما توحي بالجو والعاطفة)(عبد الرحمن، نصرت، مكتبة الأقصى،73،1979)

الخاتمة

إنَّ ابن دراج شاعر أندلسي متميز متفرد لهُ أسلوبه الخاص بالجزالة والسهولة والوضوح شاعر العاطفة الأسرية المحب لعائلته وابنائه معتمد على رسم لوحات متعددة لغرضه الرئيس)المدح(وللشعر في قصيدته وإكمال بناءها العام التركيبي معتمداً على مقطوعات شعرية فنية أو نفسية مستمدة من عاطفته الجياشة وخياله الخصب الوافر المبدع محاولة منه إلى إضفاء شيء جمالي على قصائده.

الصورة الفنية والتي تمتاز بالمهارة في البناء والدقة في الصياغة عن وعي مستيقظ وإرادة هادفة. وهذه الصورة قائمة على المجاز وقد مثلها القسطلي خير تمثيل تعتمد في بعض الأحيان على قدرة الشاعر وابداعه وسعة خياله حتى تكون الألفاظ والأدوات بيد الشاعر يستخدمها في قالب بديهي أو بياني .

أما الصورة النفسية لا تختلف عن غيرها من الصور في أدوات التصوير التي يعبر بها فهي تكون صورة مباشرة , أو بيانية , أو رمزية , لكنها تختلف تعبيرها عن المشاعر , التي تنطوي عليها نفس الأديب وترسمها في صورة فنية تجسد خفاياها وتعرضها في قالب أدبي وقد جسدها ابن دراج عندما شبه أبنائه بيوسف وإخوته

الصورة المباشرة هي تلك التي يعكس الأديب فيها لوحات من واقع الحياة يستخدم فيها ضروب البيان , كما عبروا عنها بالتصوير الحقيقي , أو الصورة الموسعة ولكن الصور المباشرة إذا طالت احتلتها غالباً الصور الأخرى .

العاطفة التي تعتبر أيضاً ضمن تصوير الذات للقصيدة هي انفعال شديد , ينزع بصاحبه إلى ميل نحو أمر من الأمور ملك عليه حواسه فلا يستطيع الانفلات منه , والتخلي عنه, والعاطفة عنصر مهم من التجارب الإنسانية الأدبية تتوهج بها الألفاظ , وتتجسد بها تلك المعاني ويجسد الإنسان من تأثيرها في نفسه نشوة تغريه بالاستزادة من معين تلك التجارب ، فالعاطفة التي وجدناها عند شاعرنا القسطلي هي عاطفة الأبوة اتجاه أبناءه وعاطفة الزوج تجاه زوجته ، حيث يبدو محباً لزوجته مخلصاً لها عاطفاً على أبنائه كثير الحب , والحنان والرعاية لهم , خائفاً من قسوة الأيام عليهم , فلا عجب أن يكون حديثه عنهم , وهو المحرك العاطفي , لقول شعره , فمن أجلهم تشرد في البلدان باحثاً عن أسباب العيش , ومن أجلهم جاع شعره في سوق الكساد , وتحمل المهانة والذل لأجل أن يوفر لهم حياة حرة كريمة , ونجد صورة شعرية صادقة , وهي التي تتعلق بالأسرة والابناء , وكذلك مشاهد الوداع كانت مستمدة من واقع مادي معاش , وليست متخيلة.

استفاد القسطلي من كل ذلك كبيرة فقد أكسبه ذلك الأسلوب الجميل المبدع الزاهر بالألوان الرائعة ذات الرونق الباهي الذي يبث ألوانه عبر نسيم الأيام موصلة ما تبغيه إلى المتلقي خلاصة القول : هنالك علاقة قائمة راسخة بين الذات والمجتمع على أساس إدراك الصلة بينهما ويمكن للنقاد الاستعانة بدراسة مجتمع الشاعر لفهم الذات الشاعرة أو الاستعانة بالشعر لقراءة أحوال المجتمع الذي عاش فيه الشاعر وعبر عن ذاته أصدق تعبير.

المصادر:

1. ابن منظور، لسان العرب (ت 711) مادة ذوو ، تحقيق إحسان عباس،ط3، 1414هـ، دار صادر.
2. الأصبهاني، أبي الفرج، أدب الغرباء، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد ،بيروت، لبنان ،2009م
3. التنوخي، محمد ، المعجم المفصل في الأدب ،ط 2، دار الكتب العلمية ،مادة ذات،1999
4. التوحيدي، ابي حيان ، الإشارات الألهية ، تحقيق بدوي، عبد الرحمن ، دار صادر،2016م
5. الجبوري، يحيى ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة، 2014م
6. جواد، هناء ، تداعيات الذات في الشعر الأندلسي، الرضوان للنشر والتوزيع، 1437هـ-2016م
7. الحبابي، محمد عزيز، من الكائن إلى الشخص، دراسات في الشخصانية الواقعية. دار المعارف، مصر، د.ت .
8. خليفة، عبد اللطيف محمد ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، 2013
9. الديدي، عبد الفتاح الديدي ،الخيال الحركي في الأدب النقدي – دراسات أدبية ،القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب،1990م
10. الرباعي، عبد القادر ،الصورة الفنية في النقد الشعري, دار جرير ،2009م
11. رجب ، محمود ، الاغتراب سيرة ومصطلح، دار المعارف، الإسكندرية ،2018م
12. شرتح، عبد الحميد سعيد ، مقال من أوراق الموريسكي،بقلم :عصام شرتح ، 2015م
13. الطريفي، يوسف عطا ، شعراء المغرب والأندلس ،الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ، 2017م
14. عبد الرحمن، نصرت دراسات في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية. مكتبة الأقصى ،عمان ، الأردن ، 1979مِ
15. عبيد، محمد صابر ، سيمياء الموت تأويل الرؤيا الشعرية، دار نينوى للنشر ،وزارة الثقافة ،2010م

16. عبيد، محمد. صابر، صوت الشاعر الحديث. منشورات اتحاد الكتاب العرب،2007م

17. عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الثقافة، القاهرة ،د.ط، 1974م

18. عيد، كمال ، جماليات الفنون، الموسوعة الصغيرة دار الحرية للطباعة، دار الجاحظ للنشر،1980م

19. القرطاجني، ابي الحسن حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد خواجه ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1986م

20. القصاب، صبحي ناجي، الشعر بين الواقع والإبداع، دار الرشيد للنشر، 1979م

21. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط ط1، 307/1

22. مكي، محمود علي ، ديوان ابن دراج (ت321هـ – 1030م) ،منشورات المكتب الإسلامي ،دمشق ، ط ١٩٦١،١م

23. هيكل، أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. دار المعارف ،بيروت ،1985م

24. وفيلو، كارلو،النقد الأدبي (ترجمة كيتي سالم & جورج سالم). منشورات عويدات 1984م

25. اليوسف، يوسف ، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق للطباعة،بيروت ، د.ت

sources

1. Ibn Manzur, Lisan al-Arab (d. 711). Entry “Dhuw,” edited by Ihsan Abbas, 3rd edition, 1414 Hijri, Dar Sader.

2. Al-Isfahani, Abu al-Faraj, Adab al-Ghurabaa (The Manners of Strangers), edited by Salahuddin al-Munjid, Dar al-Kitab al-Jadid, Beirut, Lebanon, 2009.

3. Al-Tanoukhi, Muhammad, Al-Mu’jam al-Mufassal fi al-Adab (The Detailed Dictionary in Literature), 2nd edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Entry “Zat,” 1999.

4. Al-Tawhidi, Abu Hayyan, Al-Isharat al-Ilahiyah (Divine Signs), edited by Abd al-Rahman Badawi, Dar Sader, 2016.

5. Al-Jabouri, Yahya, Al-Shi’r al-Jahili: Khawasihi wa Fununuhu (Pre-Islamic Poetry: Its Characteristics and Arts), Al-Risalah Foundation, 2014.

6. Jawad, Hanaa, Tada’iyat al-Dhat fi al-Shi’r al-Andalusi (The Impacts of the Self in Andalusian Poetry), Al-Ridwan for Publishing and Distribution, 1437 AH - 2016.

7. Al-Hababi, Muhammad Aziz, Min al-Ka’in Ila al-Shakhs (From Being to Personhood), Studies in Realistic Personalism, Dar al-Ma’arif, Egypt, No date.

8. Khalifa, Abdul Latif Muhammad, Dirasat fi Sykolojiyyat al-Ightirab (Studies in the Psychology of Alienation), Dar Gharib, 2013.
9. Al-Didi, Abdul Fattah, Al-Khayal al-Haraki fi al-Adab al-Naqdi – Dirasat Adabiyyah (Dynamic Imagination in Critical Literature - Literary Studies), Cairo, Egyptian Book Authority, 1990.
10. Al-Rubai, Abdul Qader, Al-Soura al-Fanniyyah fi al-Naqd al-Shi'ri (The Artistic Image in Poetic Criticism), Dar Jareer, 2009.
11. Rajab, Mahmoud, Al-Ightirab: Seerah wa Mustalah (Alienation: Biography and Term), Dar al-Ma'arif, Alexandria, 2018.
12. Shartah, Abdul Hamid Said, Maqal min Awraq al-Murishki (An Article from the Papers of the Morisco), by Issam Shartah, 2015.
13. Al-Turifi, Yusuf Atta, Shu'ara' al-Maghrib wa al-Andalus (Poets of Morocco and Andalusia), Al-Ahliyah for Publishing and Distribution, Jordan, 1st edition, 2017.
14. Abdul Rahman, Nasrat, Dirasat fi Mazahib Naqdiyyah Hadithah wa Asulaha al-Fikriyah (Studies in Modern Critical Schools and Their Intellectual Foundations), Al-Aqsa Library, Amman, Jordan, 1979.
15. Ubaid, Muhammad Saber, Simiyat al-Mawt: Ta'wil al-Ru'ya al-Shi'riyah (Semiotics of Death: Interpretation of the Poetic Vision), Dar Ninawa for Publishing, Ministry of Culture, 2010.
16. Ubaid, Muhammad Saber, Sawt al-Shi'ar al-Hadith (The Voice of Modern Poetry), Publications of the Arab Writers Union, 2007.
17. Asfour, Jaber, Al-Soura al-Fanniyyah fi al-Turath al-Naqdi wa al-Balaghiyyi 'Ind al-'Arab (The Artistic Image in the Critical and Rhetorical Heritage of the Arabs), Dar al-Thaqafah, Cairo, No date, 1974.
18. Eid, Kamal, Jamaleyyat al-Funun (Aesthetics of the Arts), The Small Encyclopedia, Dar al-Hurriyah for Printing, Dar al-Jahiz for Publishing, 1980.
19. Al-Qartajani, Abu al-Hasan Hazim, Minhaj al-Bulaghā' wa Siraj al-Adibā' (The Method of Eloquence and the Lamp of Literati), edited by Muhammad Khawaja, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1986.
20. Al-Qassab, Sobhi Naji, Al-Shi'r Bayn al-Waqi' wa al-Ibda' (Poetry Between Reality and Creativity), Dar al-Rasheed for Publishing, 1979.
21. Mustafa, Ibrahim, et al., Al-Mu'jam al-Waseet, 1st edition, 1/307.
22. Maki, Mahmoud Ali, Diwan Ibn Daraj (d. 321 AH - 1030 CE), Publications of the Islamic Office, Damascus, 1st edition, 1961.
23. Haikal, Ahmed, Al-Adab al-Andalusi Min al-Fath ila Suqut al-Khilafah (Andalusian Literature from the Conquest to the Fall of the Caliphate), Dar al-Ma'arif, Beirut, 1985.
24. Velo, Carlo, Al-Naqd al-Adabi (Literary Criticism) (Translated by Kitty Salem & George Salem), Oueidat Publications, 1984.
25. Al-Yusuf, Yusuf, Maqalat fi al-Shi'r al-Jahili (Articles on Pre-Islamic Poetry), Dar al-Haqa'iq for Printing, Beirut, No dat